ذاكرة الوجع الينابر.
يوميات ثورة يناير ٢٠١١.
كتبها، محمد فرحات.
دخلتُ عالم الفيس بوك سنة 2009 تقريبًا...وكانت عندي صفحة فيها أجمل الذكريات..اشتركت وتفاعلت بها مع كل الحركات الثورية وقتئذ.تحدثت فيها عن أحلامي.
المهم كان فيها بوست مهم عن ثورة مرتقبة، ولم تمر سنة وقامت ثورة يناير، ذكريات عن دعوات فى الفيس للاحتشاد فى الميادين فى يوم عيد الشرطة، وأغانى على الحجار ومنير الوطنية.
ويوم 25 الفجر أتسلل من البيت، واروح ميدان جامعة القاهرة حسب الأماكن التى تم الإعلان عنها، وانتظر الظهر ولا حس ولا خبر. إيه جرى إيه؟! كان مقلب؟!
أتصل بجورج إسحاق، "ياعم جورج فين المظاهرات؟!" يقولى "إنت قدام الجامعة بتعمل إيه؟ تعالى أمام دار القضاء العالى.".
أركب أتوبيس على ميدان التحرير ألاقى تجمع عادي جدًا جورج على سلطان على اسكندر على البلتاجى على عبد الجليل ومجموعة من البرلمانيين إللى تم إسقاطهم في برلمان 2010.
وطبعا كاردون من الأمن المركزى. أدخل مع الوقفة وابص فى الساعة ألاقيها حوالي الواحدة، وبعد حوالي عشر دقايق تيجى مظاهرة كبيرة من شارع الإسعاف، وتفك الكاردون، وتلتحم الوقفة مع المظاهرة.
والاقى كل شارع بيحدف متظاهرين نلتحم جميعا ندخل ميدان عبدالمنعم رياض ونلاقى نفسنا فى ميدان التحرير والباقى انتوا عارفينه.
المهم إن الصفحة دية تنسرق مني فى يوليو 2012 بعد إقالة طنطاوي وعنان، وتنسرق معها كل أحلامى وذكرياتى، وبعد كده ينسرق عمري نفسه بسرقة ثورتي.
فيه علاقة بين السرقتين؟ معرفش، بس من ساعتها وأنا مسروق من كل سعادة، ومبقاش عندي أي قدرة على مجرد إنى حتى أحلم، ولو فى نومي.
دخلنا ميدان التحرير على العصر يوم 25 يناير 2011، لاقينا مدرعات واقفة على أبواب ميدان التحرير، ناوشت بخراطيم المياه، وقنابل الغاز، وحصل اشتباك بين الثوار وبين الأمن، وعلى المغرب انسحبت الشرطة، ووقفت عند مبنى مجلس الوزراء.
بعدين جيه عبد الرحمن يوسف وإبراهيم عيسى وعلاء الأسواني وعملوا أول منصة، وكانت فوق الصينية الكعكة الحجرية بتاعة امل دنقل، كانت منصة بسيطة جدا عبارة عن ساوند وميكروفون.
عبدالرحمن يوسف قال قصيدة، أظنها المسبحة ثم تحدث الأسوانى وتحدث أول مرة عن ثورة دية أول شرارة فيها، وبعدين شغلوا أغانى الشيخ إمام.
الأعداد كانت كبيرة جدا لما تقارنها بمظاهرات كفاية، وبسيطة جدا لما تقارنها بمليونيات الثورة بعد كده، ظل الوضع على كده شباب وشابات بيتحدثوا بحماسة عن ثورة تونس، وعلب كشري، سندوتشات فول وطعميه.
ودخان السجاير بيدفى صدورنا فى شتاء يناير القارس اللحية والدوجلس، الأخ والرفيق، النقاب والجيب. كله عامل نار وقاعد حوليها، ده ماسك عود وحواليه ناس بتغني، وده ماسك مصحف وبيقرا، وده بيقول شعر لدنقل.

لغاية الساعة ما أوشكت على الثانية عشر ليلا وبدأت مدرعات الشرطة تقرب على الصنية من ناحية الجامعة الأمريكية، وعبدالرحمن يوسف يمسك الميكروفون ويصرخ الكل يستيقظ ويقف ناحية المدرعات، والأسوانى يطالب الناس بالحذر، وعدم استفزاز الشرطة نقف كلنا على نهاية الصنية أمام صف المدرعات، ويغنى الميدان كله أغنية إذا الشعب يوما أراد الحياة، ونهتف يا ابو دبورة ونسر وكاب احنا أخواتك مش إرهاب.

الشاب فى إيد الشابه والمسلم فى إيد المسيحى، الكل خايف وراجي، الكل مستني أول قنبلة غاز ماكنش الضرب بالرصاص الحى لسه ظهر.

وعلى حدود الثانية عشر والنصف تنضرب أول قنبلة غاز الكل يمسك فى إيد بعضه ويقف ويشجع أخوه، القنبلة التانية التالتة، ثم سيل من القنابل.

لم يعد فى الصدر قدرة على الاحتمال، الكل بيجرى فى اتجاه عبدالمنعم رياض فيه ناس مخنوقة بتقفز من على السور، وتستخبى من الغاز في العمارات، وكنت أنا واحد من دول. نطلع العمارة إللى بقى فيها مقر الجزيرة مصر بعد كده، مش عارف اتنفس يدوبك أطلع الدور التالت، وأسقط مغشيا عليا قدام إحدى الشقق، بعد كده الشقة تنفتح، ويطلع منها سيدة كبيرة تاخدنى، وتدخلني، وتجيب بطانية وتحطها عليا أظل هكذا حتى قرب الفجر.

أشكرها وأقبل يدها، وأعرف بعد كده إن كل إللى استخبى فى العمارة أُعتقل.

أنزل ميدان التحرير، كل حاجة ساكنة كل الناس مشيت، السيارات رجعت تجرى تاني، وكل عشرة متر فيه كمين شرطة، وعواء اللاسلكي وصرخاته لاتنقطع.

ولسيل الذكريات انسياب لا يتوقف.

ومر يوم 26 يناير 2011 بمظاهرات بسيطة جدا قدام نقابتى الصحفيين والمحامين، حرق كاوتش فى ميدان رمسيس وتحت كوبرى عبدالمنعم رياض، ولكن السويس لسه مشتعلة فأول شهداء يناير سقط هناك، لم تهدأ السويس ثانية واحدة.

وفى يوم 27 كنت بلف فى نص البلد من التحرير لنقابة المحامين للصحفيين، وأقول لنفسى معقول كل حاجة تخلص بالسهولة دية؟! فين الناس إللى كانوا مليين الميدان.

وقدام نقابة المحامين ألاقى مجموعة من شباب كفاية بتهتف ضد مبارك، الوجوه معروفه جدا، إبراهيم عطية، حازم حسني، رفيق ميخائيل وغيرهم.

أحاول اخترق الكاردون الأمني كالعادة، ولكن المرة دية ألاقى واحد بيمسكني من إيدى ويقولي "على فين؟!" المهم ياخد البطاقة، ويقودني لأحد سيارات الأمن.

ولكن كان الارتباك والتعب واضح جدا على الضباط والعساكر من يوم 25 وهم فى الشارع، وبعد شوية ألاقى ضابط بيقولوا له يافهد بيه كان لابس مدنى، تقريبا كان أمن دوله، بيتكلم معايا عن سبب حضورى أمام النقابة، وبعد كلام كتير، ولف ودوران مني، قالى "انت جاي تتظاهر مش كده؟" فقلت "نعم." قالى "خد بطاقتك أنا هسيبك لوجه الله، بس لو شفتك تاني مش هرحمك.".

خدت البطاقة، وأنا مش مصدق نفسى، وخدت بعضي على الجامع الأزهر، اتمشيت من التحرير للازهر مش عاوز أرجع البيت لأن أمن الدولة كان منتظرني هناك، جلست فى الجامع، فإذا بحازم حسني، أحد رفاقي في تنسيقية كفاية بالمحافظة بيتصل، ويخبرني إن بكره 28 يناير هتكون جمعة الغضب للانتقام مما فعلته الشرطة يوم 25.

استبشرتُ خيرا صليتُ المغرب والعشاء فى الجامع الأزهر وذهبت لجامع سيدنا الحسين لأنى متعود أنام فيه من ليلة 25 مش عارف أرجع البيت.
والمفاجأة إنهم بيقفلوا مسجد سيدنا الحسين مش العادة إنهم يعملوا كده، قفلوا الجامع وطلعت مش عارف ابيت فين.
عربيات وفانات ومدرعات وسيارات مطافئ بتجرى فى كل شوارع القاهرة، والناس فى كل حتة، وعلى كل قهوة بيتكلموا عن بكرة عن جمعة الغضب.
مش مصدق نفسى كنت بحسب إن بكره هيكون خاص بحركة كفاية، وسته أبريل، وباقي الحركات الثورية والشبابية. أما أن يتحدث البوابون عن مظاهرة هتحصل بكره فهذا شئ جديد عليا جدا.
أجلس على قهوة فى شارع شامبليون فاتحين قناة الجزيرة والناس بتسمع تقرير عن اشتعال المصادمات بين الثوار والأمن فى السويس، وبعض الأخبار عن محاولات متكررة لاقتحام مديرية أمن السويس الكلام ده جديد جدا، معقول السويس تبقى القصريين التونسية مرتكز الثورة وشعلتها.
لغاية دلوقتي فكرة الثورة بعيدة تماما آخرها هنبقى مظاهرة كبيرة زى يوم 25 وتنفض وخلاص، ده الحد الأقصى لسقف التوقعات.
بعد النشرة يستضيفوا نوارة نجم، وألاقيها بتتكلم عن ثورة زى ثورة تونس وإن الشباب مش هيسيبوا مبارك إلا لما يقول "أنا فهمتكوا!" قصدها زي علي زين العابدين فى آخر خطاب له فى تونس قبل هروبه على السعودية.
بدأ الأمل يلعب فى قلبى تاني، لقيت القهوة بتشطب على غير المعتاد كانت بتسهر للصبح فيه إيه يا جماعة، قالوا "تعليمات أمنية علشان بكره." حتى القهاوى.
الظاهر بكره هيبقى يوم، اتصلت بأحد الزملاء أسأله عن إمكانية المبيت عنده خاصة أنه ليس له أي نشاط سياسي فرحب فتوجهت إليه، منتظرا غضب جمعة الغضب والحلم بحدوث شئ ما يغير الواقع يعصر،وإن غدا لناظره قريب.

كان صبح زي صبح العيد، وطفل طالع بلبس جديد. كان يوم الجمعة 28 يناير 2011 طلعت الفجر من شقة أحد الزملاء كانت فى المرج، صليت فى إحدى الزوايا، وجلست على إحدى عربيات الفول، الناس كانت بتاكل لقمة، وتتكلم عن النهارده بكلمة، تلبسني شكٌ أشبه باليقين، إن النهارده يوم مش عادي، نزلت على أول مترو من محطة المرج، تعلن إذاعة المترو إن المترو مش هيوقف فى محطة التحرير (السادات) ولا محطة رمسيس (مبارك سابقا) الناس فى المترو تفاعلت مع الخبر بسب ولعن وبدأوا يتكلموا عن جمعة الغضب. غيرت وجهتي من التحرير، وقررت النزول بمحطة (العتبة) أقرب محطة من جامع سيدنا الحسين.
ولجامع سيدنا الحسين دلالة رمزية عندي، فصاحبه، عليه السلام كان صاحب أول ثورة فى الإسلام ضد الحكم الظالم العاض القائم على التوريث، وكان دمُه وقودًا لكل ثورات الحق والعدل، اتمشيت من سور الأزبكية للحرم الحسيني، أهو بالمرة اخد ثواب التهجير لصلاة الجمعة، وصلت لقيت المسجد لسه مقفول-طبعا على غير العادة- روحت الجامع الأزهر لقيته لسه مقفول برضه.
وفى الشارع بين الجامعين عربيات شرطة وضباط من كل الرتب من ملازم للوا، أصوات اللاسلكي تصم الآذن كانت الساعة حوالي السابعة والنصف صباحا، ذهبت للجلوس فى ساحة جامع سيدنا

الحسين، الزوار فى تزايد مستمر، وكل ما حد يجي، ويلاقى الجامع مقفول يسب ويلعن الحكومة، الناس كلها مستاءة من غلق الجامع صباح الجمعة.

على الرغم من مرور السنين، كلما تذكرت الموقف ده يرتعش قلبي من الرهبه والخشوع، وكأن الأرض قد أنبتته من أحشائها يخرج علينا شاب مجذوب، لابس لبس أزهري قديم وبالي، ولكنه نظيف وأنيق، ويصرخ بأعلى صوته ثلاث مرات قائلا " جدار الطغيان هار، اذا لمسته انهدم**!**" كل الناس الغاضبة من غلق المسجد تلتف حوله، يجري أحد عمداء الشرطة ومعه عدد من العساكر، ناحية الشيخ المجذوب، ويحاول القبض عليه فيتدخل الناس بغضب "إيه يابشا؟**!** مش كفايه قافلين الجامع هتقبضوا على خلق الله كمان؟**!**".

وكاد الموقف يشتعل لأن الناس جت بسرعة على الجلبة التي أحدثها المجذوب والضابط، وجاء لواء شرطة بجنوده مسرعا يحتوي الموقف، وينقذ المجذوب المُبشر بيوم من أروع أيام المحروسة من قبضة العميد ويقول" خلاص يا أسيادنا بس مش عاوزين تجمع". ..فيرد عليه الناس "افتحوا الجامع والناس متتجمعش"فيعدهم اللواء بسرعة فتح الجامع.

يظل الجامع الأزهر والحسين مغلقين لقبل صلاة الجمعة بخمس دقائق، اكتظ الميدان الواسع إللى بين الأزهر والحسين وحوالين الجامعين بآلاف من البشر الغاضبة من غلق المساجد لهذه الساعة المتأخرة من يوم الجمعة، طبعا صاحب قرار تأخير فتح المساجد ده كان أغبى شخص على الإطلاق انفتح الجامع الحسين والأزهر حوالي الساعة الثانية عشر إلا خمس دقايق.

بدأ الشيخ نعينع في قراءة مقتضبة ومترددة وشاردة لبعض آيات القرآن، وصدّق، فخرج الإمام على المنبر ليتحدث عن الدعوات الخبيثه الداعية للتظاهر، وإن بلد الحسين لا تخرج على الحاكم، وإن الحسين يناشدكم عدم الخروج وكلام من ده.

لم تستمر الخطبة أكثر من عشر دقائق، يصلي الناس الجمعة، ويخرجون بالآلاف من جامع الأزهر والحسين، طبعا فيه أعداد غفيرة من الشرطة، ولكن المشهد كان مزلزلا فعلا. شباب جديد جدا مشفناش الكتير منه فى التلات أيام السابقة، و أحدهم يقف فى الميدان ويصرخ "حسبنا الله ونعم الوكيل، الله أكبر ولله الحمد."، إنه شعار الإخوان المسلمين فى بداية تظاهراتهم وينفجر الميدان بعشرات الآلاف من الحناجر، طبعا الزخم كان مش عادي.

نزل الإخوان المسلمون بكامل طاقتهم، وده أعطى للتظاهر شكل جديد جدا من الحيوية والتدفق الهادر. يتجه الناس فى اتجاه واحد مع كوبري الحسين إللى بيصب فى اتجاه ميدان التحرير، آلاف مؤلفة بترج الأرض بهتاف واحد(الشعب يريد إسقاط النظام) تنتظرنا قوات الشرطة فى نهاية الكوبرى عامله كردون، بس كردون على مين؟**!** وبعد ما تم سحق الكردون، تبدأ قنابل الغاز فى الانطلاق من كل حدب وصوب، تنفجر المظاهرة الضخمة، وتنشطر كقنبلة انشطارية إلى مظاهرات صغيرة تهرب في كل الشوارع المحيطة، وتطاردهم الشرطة فى منظر عبثي للغايه، وألاقى نفسى مع المظاهرة المتجهة إلى الدرب الأحمر.

قنابل غاز تَسّاقط كالمطر، وعربيات شرطة تطاردنا كالقدر، تشتد المطاردة وكثافة الغاز حينا وتهدأ حينا، وفى إحدى لحظات الهدوء، يتجمع العشرات على تليفزيون فى إحدى القهاوي فاتحه قناة الجزيرة، وكانت تبث صور من المظاهرات في القاهرة وكان العنوان" مئات الآلاف يتظاهرون مطالبين

بسقوط النظام "، منظر المظاهرات كان يرعب، وكانت كاميرا الجزيرة مركزه فى البث ده على مظاهرة كوبري قصر النيل والمشهد مشهور جدا.
لقيت نفسي بصرخ فى مشهد مسرحي مبالغ فيه بالفصحى زي يوسف بك وهبي" إنها الثورة إذا ! " قام صاحب القهوة حالف بالطلاق تلاته أن يغلق التلفزيون والقهوة كمان.
وينظر إلى الرفاق بعين غاضبة ولسان حالهم يقول"قافلتها بوشك يا فالح!".
وبدون هوادة قفل صاحب القهوة التلفزيون وطرد كل إللى فى القهوة، خاصة أنهم كلهم كانوا متظاهرين وما فيش حد هينفع الراجل ولو بطلب واحد.
يدوبك جايين نطلع الشارع، ونلاقي مدرعة شرطة جاية بأقصى سرعة ممكنة، والشوارع فى المنطقة دية ضيقة جدا، ينفض الجمعُ سريعا ويهرب فى شوارع جانبية، ولكن الشوارع دية كانت مشبعة بالغاز إللى قنابلة بتتساقط علينا زى المطر من كل حتة.
وأنا بعاني من حساسية على الصدر من زمن لاقيت نفسى بتخنق، وبدخل فى حالة إغماء وقبل ما أقع على الأرض، ألاقي الرفيق إبراهيم عطية من حركة كفاية بيسندنى، وعينه كانت حمرا زى الدم من أثر الغاز الكثيف المركز فى الشارع الضيق ده، وأسعفني بوضع قطعة قطن مشبعة بالخل، وغسل وجهي بالكولا، ورش عيني بمحلول الخميرة. كانت الإسعافات دية جديده وكانت علاج ناجح، وسحري جدا.
وانتشرت عن طريق شباب نشرها بكثافة على الفيس بعد فض مظاهرة ليلة 25 على مدار التلات أيام السابقة.
فقت جدا، واستعدت نشاطي، ووضعت قطعة القطن المشبعة بالخل على أنفى، ومشيت مع الثوار.
وكان كل خوفنا إن الشارع الضيق ده يكون مقفول، وينقبض علينا فى نهايته، ولحسن الحظ الشارع كان يؤدي لطريق آخر واسع بيؤدي لميدان قصر عابدين.
لاقينا الثوار ملبين الميدان فى صراع متبادل بالغاز من جانب الشرطة، والطوب من جانب الثوار، وتطور الوضع بسرعة مذهلة، وسمعت لأول مرة صوت الرصاص الحي.
الحقيقة من سنة 2002 منذ مظاهرات كفاية لم أسمع صوت الرصاص الحى إلا النهارده، يشتد الصراع، ويقوم الثوار بحرق الكاوتش فى أرجاء ميدان عابدين للتقليل من أثر الغاز، يتبارى الشباب فى اصطياد قنابل الغاز ووضعها فى جرادل مياه انتشرت فى كل الأرجاء، دخان الكاوتش مع جرادل المياه مع محلول الخميرة والبصل والكولا أضعفت جدا من تأثير الغاز.
اقترب الثوار من أسوار قصر عابدين، وفتحت الشرطة النار من كل مكان، وبدأ الشباب يتساقط ما بين جريح وقتيل، اشتد ضرب النار بهستريا مجنونة، ينفض الجميع من حوالين القصر نشيل الجرحى والقتلى، وندخلهم مداخل العمارات، يتولى أطباء ومتطوعين أمر الجرحى، وتحفظ جثتين فى أحد المداخل.
وننطلق مسرعين نحو ميدان محمد فريد، نجد خلفنا ثلاثة مدرعات تتجه نحونا بأقصى سرعة ممكنة، تحاول أن تتمركز قبلنا فى ميدان محمد فريد لأن الميدان ده كان بيؤدي لميدان طلعت حرب، فشارع طلعت حرب، فميدان التحرير إللى كل المظاهرات كانت متجه نحوه فى نفس الوقت، لك ان تتخيل الإرباك والإنهاك الشديدين إللى وصلت إليه قوات الشرطة إللى بقلها الآن ثلاثة أيام فى الشوارع.
تمركزت الثلاثة مدرعات فعلا فى ميدان محمد فريد، وأخذت تصب علينا قنابل الغاز بهستريا شديدة، نحاول التراجع للخلف نلاقى القنابل والرصاص من ناحية عابدين منهمر زي المطر.

تم حصار المظاهرة إذا، الضرب ماكنش بيهدى يتساقط الثوار ما بين مخنوق ومصاب، وبالتدريج الضرب إللى جاى من ميدان محمد فريد يهدى ويهدى ثم ينتهي.
ونعرف بعد كده إن شباب جديد جدا ركب قطار الثورة الهادرة شباب جديد صغير جدا ما بين 19 سنة و25 سنة، يغني بطريقة جديدة اغاني منظمة، ورايات كبيرة، وطبول صوتها يصم الآذان.
وكانوا جايين من ناحية محمد فريد علشان يفكوا الحصار المحكم على مظاهرتنا مظاهرة قصر عابدين، كانوا بيغنوا أغنية "ياغراب ومعشش جوا بيتنا" دول شباب الأولتراس إللى كان فيه بينهم وبين الشرطة تار بايت، والحقيقة الشرطة خلقت فى آخر عشر سنين من حكم مبارك ثارات بينها وبين كل طوائف الشعب، كان مع شباب الأولتراس، شباب تاني، شباب جديد لا يتعامل إلا بالملوتوف إللى شوفته أول مره فى إيد واحد منهم، وهو بيسب ديك الشرطة وبيقول "جرينا ولاد التيت قدمنا زى الفيران"، ويشتم الشرطة بأقذع الشتائم إللى ممكن تتصورها، واللى مسمعتهاش طول حياتى دول بقه شباب العشوائيات المنتشرة حوالين الأماكن الراقية، مشحونين بحقد شديد على كل ما يمت للدولة بصلة، وعرفنا أنهم بالتعاون مع طبول شباب الأولتراس حرقوا مدرعة من الثلاث المدرعات إللى كانت واقفه فى ميدان محمد فريد، وهربت المدرعتين واتجهنا كلنا لنحتل ميدان محمد فريد وننطلق منه لميدان طلعت حرب، ولكن كان أسلوب الشرطة توقع حركة الثوار، والسبق للأماكن الإستراتيجية، والتمركز هناك قبل ما نوصل، وهكذا تمركز من قبل الشرطة، وضرب رصاص وغاز، وملتوف من جانب الثوار وحرق المدرعات، غاز، رصاص، جرحى، ثم إلقاء المولوتوف من جانب شباب العشوائيات والأولتراس، وهروب مدرعات الشرطة للأماكن الإستراتيجية المتبقية والمؤدية للتحرير، واحتلال الثوار للأماكن المحررة من الشرطة، وهكذا استمر يوم 28 يناير الشهير بجمعة الغضب بنفس المتوالية التسلسلية دية.
ومع أذان المغرب دخلنا ميدان طلعت حرب واختفت الشرطة عن المشهد تماما.
غطى ليل يناير المستعجل قوى، والمخنوق بريحة الغاز، والمنهك من الجري، والمطاردة، و الإشتباك، والمجروح، والنازف بدماء الاستشهاد الأجواء بنوع من أنواع السكون، والحزن، والأمل فى انتصار شعب أدمن طعم الهزايم.
يؤذن شباب الإخوان لصلاة المغرب تنتشر جماعات الصلاة فى كل ميدان، ويتحول شارع طلعت حرب إلى جامع كبير، وتعلو أصوات التلاوة المتداخلة من أئمة الجماعات المتفرقة ويعلو التكبير وكأنها صلاة العيد، نصلي المغرب والعشاء جمع تقديم مع القصر، ونستمر فى السير اتجاه ميدان التحرير المحرر نهائيا من الشرطة، تدخل أفواج الثوار من كل شوارع التحرير من شارع طلعت حرب، شارع شمبليون، كوبرى قصر النيل، ميدان عبد المنعم رياض.
إلا شارع واحد بس، أيوه شارع محمد محمود من ناحية الجامعة الأمريكية، والمؤدي لمجلس الوزراء، ومجلسيّ الشعب والشورى، وفى نهايته وزارة الداخلية.
اختفت الشرطة من كل مصر إلا من الشارع ده، وفجأة يشق ظلامَ الليل نورٌ أصفرُ غريب جاي من هنااااك من ناحية كورنيش النيل.
النور الأصفر ده كان مصدره نيرانًا تلتهم مبنى الحزب الوطنى الديمقراطى إللى حكم مصر من سنة 1954 إلى سنة 2011 تحت مسميات مختلفة، وتبدأ الملحمة الكبرى بين كل الثوار والشرطة المتبقية فى شارع محمد محمود وأجواره.

ما أن دخلنا ميدان التحرير عشاء جمعة الغضب 28 يناير 2011 ، حتى انقطعت الكهرباء، وطبعا خدمة المحمول، والنت مقطوعة من صباح اليوم، إلا أن الضوء القوي إللى جاي من ألسنة اللهب إللي بتاكل مبنى الحزب الوطنى كان كفايه علشان ينور الميدان كله، حتى بدأ صراع عنيف جدا بين الثوار وما تبقى من الشرطة المتمركزة في شارع محمد محمود وأجواره، صراع يشبه الحروب فى كثافة النيران والغاز من قبل الشرطة، وفي بسالة الثوار، والإصرار على البقاء، والتمركز فى ميدان التحرير.
وكان للشرطة هدفان:- الأول منع الثوار من الوصول لوزارة الداخلية المعقل الوحيد المتبقي لهم، والثاني طرد الثوار من ميدان التحرير وإعادة احتلاله، كان صراع إرادات رهيب.
بعد ساعة من الاشتباك هدي الضرب من قبل الشرطة ثم خفت تماما، ولكن يفاجأ المرابطون عند ميدان عبدالمنعم رياض من دخول رتل من سيارات الجيب العسكرية الميدان، وكان الثوار فى هذا الوقت يحسنون الظن بالجيش، فأخذوا بالهتاف للجيش، وسرت الشائعات أن قوات الجيش جاءت لتقبض على قيادات الداخلية التى أمرت باستخدام الرصاص الحى.
وسرت روح من التفائل فى الميدان لتوقف الضرب نهائيا من قبل الشرطة، وبعد ربع ساعة من وصول سيارات الجيب العسكرية، يبدأ الضرب من جديد من قبل الشرطة، فهم الجميع المسألة.
أن سبب هدوء الضرب من قبل الشرطة كان لفراغ ذخيرتهم، وأن سيارات الجيش ما جاءت إلا لتمد الشرطة بالذخيرة، خاصة وأن نمر السيارات العسكرية كان تبدأ برقم 03، وأخبرنا بعض الثوار أن الرقم ده تبدأ به سيارات الجيش التابعة لفرع الحرس الجمهوري!
اتضحت الرؤية إذا، وبعد نصف ساعة من الضرب يفاجأ الثوار برتل جديد من سيارات الحرس الجمهوري، فيتصدى لها الثوار بالطوب والمولوتوف، فترجع السيارات ثانية من حيث جاءت، يحاولون محاولة أخرى بإمداد الشرطة بالذخيرة عن طريق سيارات الإسعاف، ولكن يفطن الجميع للخدعة ويمنعون دخول أى سيارة من أى نوع للميدان حتى ولو كانت ملاكي. يستمر الصراع ويسقط القتلى والجرحى بالعشرات، وتقام أول مستشفى ميداني في مسجد خلف مطعم ومبي، يصفون الجثث صفوفا. والجرحى يقوم الأطباء من الثوار بإسعافهم، شحت المواد الطبية وكادت تنفد، انقطعت خدمة المحمول بتواطؤ شركات الإتصالات الثلاثة، وكذلك النت وكثير من الإصابات يحتاج الاسعافات الأولية، وإلا سيستمر النزف حتى الموت، وهنا يقوم مراسلو قناة الجزيرة الفضائية بدور رائع ينقذ مئات المصابين من الموت المحقق، بأن يرسلوا استغاثات عن طريق معدات البث إلى شاشة الجزيرة، فتقوم بدورها بنشر حاجة الميدان إلى الإسعافات الأولية، فتتدفق الإسعافات والأطعمة من كل مكان حتى تكتظ المستشفى الميدانى بالاسعافات والأطعمة فى خلال ساعة واحدة فقط.
يستمر الصراع بين الشرطة والثوار للسيطرة على الميدان حتى حوالي الساعة الواحدة من فجر 29 يناير 2011.
ويصيح البعض أن الرئيس مبارك سيلقي خطابا، يهدأ الضرب من قبل الشرطة، ويستعيد الثوار أنفاسهم، ويتجمعون حول أجهزة الراديو لسماع الخطاب، والكل يتوقع أن يعلن الرئيس مبارك تنحيه، أو يقول "أنا فهمتكوا!" يبدأ الرئيس خطابه، بصوت مرتعش، وبعد كلام استمر عشر دقائق يعلن أنه أعطى أوامره لحكومة أحمد نظيف بتقديم استقالتها، ويعلن تعيين اللواء عمر سليمان نائبا له، وسيشكل لجنة لتعديل دستور 71، خاصة المادة 76 سيئة السمعة التى كانت تؤدى إلى توريث الجمهورية لنجله جمال،

وأنه أمر بنزول الجيش ليساند إخوانه من الشرطة على حفظ الأمن في البلاد، وإعلان حظر التجول من الساعة السابعة مساء للساعة السابعة صباحا.
يعلن الثوار رفضهم القرارات فقد فات أوانها، ويعلنون أنهم لن يتنازلوا عن مطلب تنحي الرئيس، وتغيير النظام، وبعد دقائق من انتهاء الخطاب، تدخل أولى دبابات الجيش وسط هتاف الثوار (الجيش والشعب إيد واحده).
ويقوم أحد عمداء الجيش بتطمين الثوار، وأنهم ما أتوْا إلا لحماية الثوار، والمنشاءات ويقوم الجنود بتوزيع تعيناتهم الغذائية على الثوار في وسط منظر غريب للغاية، وملتبسٍ للغاية.
ينتهي يوم 28 جمعة الغضب، وتدخل سيارات الإسعاف لحمل جثث الشهداء، ونقل الجرحى للمستشفيات المحيطة فى مشهد حزين، وتتساقط أمطار يناير فجر يوم 29 ممتزجة برائحة وطعم الغاز والبارود، وينام بعض الثوار فى ممرات مترو الأنفاق، ويتجمع البعض حول النيران لتجيرهم من برد يناير القارس وانتظارا لفجر طالما حلموا به.
تركنا الجيش بالرغم من قلة العدد في صباح 29 يناير 2011، يحول دون حدوث عودة التصادم بين الشرطة والثوار، صباح بارد، طائرة هليكوبتر حربية تطوف فى سماء الميدان على ارتفاع منخفض.
تركت الميدان لأشتري صحيفة المصري اليوم، أخذت فى السير فى شارع طلعت حرب كل شئ هادي، اختفت الشرطة تماما، حتى عسكري المرور، ليقوم الثوار بتنظيم حركة المرور، مانشيتات الجرائد الرسمية واحدة.
نزول الجيش، قضية فساد أحمد عز إللى كان بارون الحزب الحاكم وراجل جمال مبارك الأول، الهجوم على رموز حكومة أحمد نظيف كان موضوع العديد من المقالات،صور اللواء عمر سليمان نائب رئيس الجمهورية تملأ الصفحات الأولى، وصورة لمبارك وطنطاوي وعنان فى الصفحة الثانية.
تواري لكل صور الرموز المدنية الفاسدة، وتصدر وجوه عسكرية أكثر فسادا!!
يبدو أن صراع أجنحة الحكم استقر على معادلة جديدة.
أشتري جريدة المصري اليوم ، لسان حال الثوار وقتئذ، وأرجع للميدان، لأجدهم يعدون منصة عند شركة السياحة المواجهة للصينية، و يبدأون فى تشغيل الأغاني الوطنية لحليم وشادية وعبدالوهاب ومنير، وفي حدود الحادية عشر تتوافد المظاهرات المؤيدة الثورة، ويكتظ الميدان بالمصريين من كل المحافظات، وتقوم بنات الجامعة الأمريكية، وغيرهن من بنات الطبقة الارستقراطية من المعادي، ونصف البلد، بتنظيف الميدان وتوزيع العصائر الحلوى، مع ندرة فى الغذاء فقد أغلقت مطاعم، ومحلات الطعام فى التحرير، وأجواره أبوابها، ويمنع الجيش دخول اى متطوعين بالطعام والشراب.
طبعا فسرنا ذلك بمبالغته فى حماية الثوار خوفا من تسرب الطعام المسمم الميدان...!! - كنا طيبين أوي - ولكن تسربت بعض سندوتشات الفول والطعمية، علب الكشرى يتقاسمها الثوار فيما بينهم، تقوم المنصة بالأذان للظهر تقام أول صلاة ظهر في الميدان، يصب المسيحي للمسلم وضوؤه، يقوم المسيحيون بعمل كردون لحماية المصلين في صلاتهم، وهكذا كأن المصريين فى الميدان هبطوا من مدينة أفلاطون الفاضلة، أو مجتمع الصحابة الأول.
يمر اليوم وتبدأ الليلة باحتفاليات الميدان بالنصر، والجيش يراقب الوضع بهدوء حذر، الدبابات تسد كل مداخل الميدان، يشكل الثوار من أنفسهم نقاط تفتيش على مداخل الميدان تفتش كل من يدخل الميدان، وتطلع على أوراقهم الثبوتية، يتم عمل شاشة عملاقة من القماش وجهاز بروجكتر يبث قناة الجزيرة التى

توقفت كل برامجها للحديث عن "القضية المصرية"، هكذا كانت الجزيرة تسميها فى أيامها الأولى، صوت أم كلثوم يعلوا من قناة الجزيرة ليهتز الميدان بأغنية "مصر تتحدث عن نفسها"، وما أن وصلت إلى (إنني حُـرة كسـرت قيودي رغم أنف العدا وقطعت قيدي) حتى بدأ الكثير فى نوبة بكاء جماعى لم أرها من قبل، وهكذا يمر يوم السبت 29 يناير.

وعن الليل فنسمع لأول مرة شعار (الجدع جدع والجبان جبان واحنا ياجدع هنبات فى الميدان) فى مظاهره يقودها الشيخ صفوت حجازي، و يقوم باسم عودة، وأسامه ياسين، ومحمد البلتاجي، وأحمد ماهر، وأحمد دومة، ونوارة نجم بتوزيع البطاطين على المعتصمين الذين تجمعوا حول النيران، منهم من يغني، ومنهم من ينظم حلقات نقاشية حول نظام الدولة بعد سقوط نظام مبارك، وعلاء الأسواني، وعبد الرحمن يوسف، وأبوالعز الحريرى، وغيرهم يتناوبون إلقاء الخطب من منصة الثورة بميدان التحرير.

تتجدد الاشتباكات من صباح الأحد 30 يناير حول وزارة الداخلية فيسقط عشرات الجرحى وثلاثة شهداء، ويتدخل الجيش بمدرعاته لفض الاشتباك، ويأتى الثوار بأحد الشهداء وكان رجل فى الخمسين من العمر تقريبا.

ويقرر الثوار خروج الجنازات الثلاث من الميدان، وتدعو المنصة جموع الشعب إلى الإضراب العام يوم الاثنين 31 يناير، وإلى أول مليونية يوم الثلاثاء الأول من فبراير.

يتولى الفريق شفيق رئاسة وزارته الأولى، ويؤدى اليمين الدستورية، يتولى اللواء عمر سليمان تشكيل لجنة لتعديل الدستور، ولجنة للتفاوض مع القوى السياسية.

ولكن الثوار يصرون على مطلب تنحي الرئيس وتغيير النظام، ويأتى المساء مسرعا وقد اكتظ الميدان بمئات الآلاف، فى تحدي صارخ لقرار حظر التجول الذي يبدأ من السابعة مساء للسابعة صباحا، ولأول مرة تخترق الطائرات الفانتوم سماء القاهرة كانت ثلاث طائرات محدثة ضجيجا هائلا، ولكنها لم تزد الميدان إلا إصرارا، ومزيدا من التحدي.

تبدأ موجة من السخرية على شكل هتاف (حسنى اتجنن).

يدخل ليل يناير ببرودة شديدة، تكتشف سرايا الاستطلاع الثورية أن مداخل الميدان كباب اللوق، ومحمد فريد، وطلعت حرب مكتظة بمئات من البلطجية يقومون بخطف الثوار، ومنع وصول الأطعمة والادوية للميدان.

تعلن المنصة عن حاجة الميدان لمئات المتطوعين لحماية مداخل الميدان من تقدم البلطجية للأمام، وتُشكل اللجانُ الشعبية لحماية الميدان، فى رد فعل سلكته كل قرية وحي وشارع فى مصر.

فلقد تم إطلاق سراح آلاف المسجلين خطر والبلطجية، فُتحت أبوابُ جهنم بإطلاق سراح المسجونين.

يحارب النظام معركته قبل الأخيرة. إحداث موجة من الفزع والهلع في صفوف الشعب، مع إطلاق حملة إعلامية بالإعلام الحكومى والخاص لتشويه ثوار التحرير، وبث روح الخوف وعدم الشعور بالأمان.

يوزع الثوار أنفسهم على مداخل الميدان وتصدح المنصة بصوت حليم و "خلي السلاح صاحي، سلاحي فى أديه، ينادي ياثوار،عدونا غدار.".

تسلل صبح الإثنين 31 يناير 2011 متدثرا بغلالة ضبابية كثيفة، فوقها حلة من برودة يناير المرتعش، وبات الثوار ليلتهم خلف متاريس أقاموها على عجل من أخشاب قديمة، وفروع أشجار نصف محترقة من بقايا اشتباكات الأيام السابقة، ومدرعات شرطة محترقة طالما تخايلت ذات يوم بقوتها وجبروتها فى شوارع المحروسة، المستسلمة لقدرها، المتوثبة الآن لحلم طالما راودها منذ ولادتها نحو انعتاق من عبودية كُتبت عليها.

وأمام نيران تدفئة يتجاذب الثوارُ الأحاديثَ عن قادم الأحداث، وعن نظام جديد يرونه ماثلا أمام أعينهم المرهقة من السهر، ومن مطاردة فلول من البلطجية يقذفون بالحجارة والملوتوف ثم يفرون أمام الثوار، فى كر وفر استمر طوال الليل بدون أي تدخل من قوات الجيش التى آثرت الحياد، ومراقبة الموقف، وملاحظة من و كيف سيتغلب على الأخر.

وما أن تنتهي ساعات الصبح حتى يتوافد الآلاف على الميدان، وتشتعل المنصة بهتاف (ارحل) يعتلي المنصة شخصيات تُطرد من الميدان شر طردة كمصطفى بكري، وغيره من الشخصيات التي تحدثت بكلام متميع لم يعجب الثوار.

يتوافد المصريون من كل محافظات مصر يستعدون لمليونية الغد الأولى.

يراهن الجميع على تلك المليونية، وينتظر الجميع، ويمر آخر يوم من أيام يناير فى انتظار حدث ما.

تشرق شمس الأول من فبراير 2011 تنتظر وعدا ما قطعته على نفسها أرض ميدان التحرير، تهدهد بشعاعها الحاني أولئك الذين قطعوا الليل فى حراسة مداخل محبوبها الأول على الارض، ميدان التحرير، أول اختبار من نوعه يخوضه الثوار.

اليوم الثلاثاء هو أول ميعاد مضروب لأول مليونية ستحدث فى مصر، بعد آخر مليونية حدثت في العام 1954 حول قصر عابدين مقر حكم الضباط (الأحرار) حينما انقلبوا على رئيسهم الطيب اللواء محمد نجيب صاحب الدعوة لعودة الجيش لثكناته، أجبرتهم المليونية على إرجاع نجيب ولو لحين، ثم خدع الضباط الجماهير بعد أن خدعوا زعيمهم وقتئذ، وانقلبوا من وقتها حتى وصلنا إلى هذا اليوم أول ميعاد مضروب لمليونية بعد هذا التاريخ القديم.

وكنا نؤمن فى حركة كفاية إيمانا يصل إلى درجة الهوس أن مظاهرة مليونية فى وسط القاهرة كفيلة بإسقاط أي نظام مهما بلغت قوته.

تتعانق ذكريات الماضي، وتوقعات المستقبل الآتي لتنسج حلما عزيزا طال انتظاره.

يحبس الثوار أنفاسهم فى انتظار مشاركة الجماهير المليونية ليثبت الميدان للعالم أن ما يحدث فى مصر ثورة شعبية حقيقية، وليست تمرد عاصمة كما يروج النظام.

ومع اقتراب الظهيرة يتوافد المصريون حتى لم يعد فى الميدان موقع قدم، ثم تكتظ الشوارع المؤدية للميدان بالمتظاهرين، ومع اقتراب الغروب تمتلأ الميادين المحيطة بميدان التحرير كطلعت حرب وعبد المنعم رياض بالمتظاهرين نجح الميدان فى حشد الجماهير إذا.

انبهر العالم بهذه الجموع المتحضرة من المصريين من كل الأعمار رجال، نساء، فتيان، فتيات لم تحدث حادثة تحرش واحدة، لم تحدث حالة نشل واحدة، يولد المصريون من جديد.

تعلن المنصة أن الرئيس مبارك سيلقي خطابه الثاني، يهتف الميدان (ارحل)، (الشعب يريد إسقاط النظام).

تنتاب الميدان موجة تفاؤل عالية، الجميع يتوقع إعلان الرئيس تنحيه، يجلس الميدان منتظرا الساعة تلو

الساعة، تُعلق الشاشة القماشية العملاقة على إحدى واجهات العمارات المقابلة للصنية، يعمل البروجيكتور لينقل بث قناة الجزيرة تليفزيون الميدان الوحيد، تمر ساعة وساعة وساعة، ولم يخرج الرئيس بعد، ينفض الكثير من المتظاهرين عن الميدان راجعين إلى محافظاتهم، تنحسر الأعداد على المعتصمين وعلى زوار الميدان القاهريين، وبعد طول انتظار يخرج الرئيس على الشاشة.
تنتاب الميدان موجة صمت غير معهود، ويبدأ الرئيس خطابه المنتظر، وبعد مقدمة قصيرة يعلن عن إصراره على عودة الأمن والحفاظ على الوطن من العابثين به، وأنه سيظل جنديا يخدم وطنه بإخلاص، وأنه لم يكن (ينتوى) الترشح لفترة جديدة، وأنه كلف الوزارة بالعمل الجاد لتحقيق مطالب المصريين، وأنه كلف نائبه بالحوار مع الشباب، ثم خير الشعب بين الاستقرار أو الفوضى، ثم يختم ختاما عاطفيا إنه عاش فى هذا الوطن ويود أن يُدفن فيه، وانتهى الخطاب وتلاشت آمال الثوار.
وانقلبت إلى موجة غضب فرفعوا أحذيتهم أمام شاشة العرض، وأصروا على مطلب واحد، رحيل مبارك ونظامه، تنهال المكالمات على الثوار من أصدقائهم، وأهليهم ترجوهم بالرجوع، "الراجل عمل إللى انتوا عاوزينه. "، "الراجل هيكمل فترته ويمشى"، "الراجل كبر ونفسه يندفن فى مصر"، وكلام من ده معقول الناس بالطيبة دية من ساعة كانوا بيطلبوا برحيله، ودلوقتى بيعيطوا عليه، الراجل خدعهم بكلمتين، صدق هتلر حينما قال واصفا الجماهير بالأنوثة لا تتحرك إلا بالعاطفة أوالحقد.
يقال إن مكرم محمد أحمد هو من كتب الخطاب، والأخير، كما لا يعلم الكثير، فلاح منوفى ماكر، وزي أى فلاح لما ينغلب يشغل أسطوانة المسكنة، حتى يتمكن من رقبة عدوه ينقلب إلى وحش كاسر.هى الخطة إذا، أجتمع المنوفيان الماكران، هذا يكتب، وهذا يسكب الدموع، والغريب أن واحدا من أهل التحرير لم تنطلي عليه الخدعة، وكأن الميدان طعم أولاده ضد كل الخدع، أو كنا نظن ذلك.
إنه الثانى من فبراير 2011.
صباح مشوش كئيب يبيت الثوار، ويستيقظون على اتصالات من أصدقائهم وأهاليهم، يحاولون إقناعهم بترك الميدان بحجة أن الرئيس مبارك قد استجاب لمطالبهم، انقلب الكثير بفعل خطاب الرئيس العاطفي، والغريب أن كل من انقلب كان من خارج الميدان، قد حصن الميدان أبناءه بترياق ضد كل أنواع الخدع، وكل أنواع المخادعين.
يستمر اليوم هكذا بين حراسة مداخل الميدان الرئيسية والفرعية، وبين الجدال مع الأهالى والأصدقاء، تقل الأعداد إذا قورنت بيوم أمس يوم أول مليونية.
نصل إلى قرب ظهر اليوم، وتكثر الأقاويل على تجمع أنصار الرئيس فى مليونية مضادة فى ميدان مصطفى محمود بالمهندسين على رؤوسهم فنانات ولاعبي كرة قدم، تأتي الميدان أشكال غريبة عن الثوار على رأسهم حارس المرمى الشهير نادر السيد متدثرا بعلم مصر، ليتكلموا مع الثوار، ويقنعوهم بضرورة العودة إلى المنازل، جذب وشد بين الفرقاء، حجج وحجج مضادة، حيرة، فوضى، الخطاب العاطفي كان بمثابة قنبلة حقيقية ألقاها العجوز الماكر بمهارة كادت أن ان تدمر الميدان. ببساطة فإن الحاضنة الشعبية للثورة فى سبيلها إلى التلاشي، ليتلاشى الميدان تبعا لذلك، الثورة تحتاج إلى معجزة حقا لاستمرارها.
تسود الفوضى فى كل مكان يؤذن للظهر، يصلى المسلمون، ويحيط المسيحيون إخوانهم بكردون محكم.
فقد تزايدت الوجوه الغريبة في الميدان بصورة ملحوظة، تقارب الساعة على الثانية ظهرا يصل بعض الجرحى من جهة ميدان عبد المنعم رياض، لقد هجم مجموعة من البلطجية راكبي الخيول والبغال معهم

سيوف، وخناجر، وهراوات وفى ثانية ينقض على الثوار من قلب الميدان تلك الوجوه الغريبة المندسه تشتد المواجهات، والمشاجرات بين الثوار والمندسين فى قلب الميدان.

وتشتد المواجهات على جبهة عبدالمنعم رياض، تتسارع الأحداث بشكل غريب وتعلن المنصة حالة الطوارئ وتدعو كل من يستطيع الدفاع عن الميدان إلى المواجهة، وتدعو النساء والفتيات للتحصن بمسجد عمر مكرم.

يبدأ أطول يوم من أيام الثورة، موقعة الجمل فى غضون الساعة يتم تطهير قلب الميدان من المندسين، وتلقينهم أعنف درس ممكن ليهرب من يستطيع الهرب منهم، ويقع منهم فى الأسر من يقع، لتلتهب كافة مداخل الميدان، وكانت أشد المداخل التهابا ميدان عبد المنعم رياض.

ينسحب الجيش بمدرعاته إلى داخل المتحف، ويقف على الحياد مراقبا ما يحدث، يقوم الثوار باستخدام فانات الجيش والشرطة المهجورة كمتاريس تسد عرض الميدان.

تقوم الفتيات بتحويل المياه من قلب الميدان إلى كل حواف المواجهة، يقوم الشيوخ والنساء بخلع بلاط أرصفة الميدان، وتكسيرها، ونقلها للشباب ليدافعوا به عن الميدان، يقوم الشيوخ بالطرق بالحديد والحجارة على أسوار الأرصفة الحديدية كطبول حرب تثير الحماسة واليقظة فى وسط المدافعين عن الميدان.

تبدأ معركة الحجارة بين الثوار ومهاجميهم، يحتل المهاجمون أسطح البنايات المواجهة للمتحف، ويلقون بالأحجار وقطع الرخام وقطع الحديد على رؤوس الثوار لتكثر الجراحات بين الثوار، يقوم الثوار بالتسلل خلف المتاريس من الحين والآخر محاولين احتلال إحدى البنايات ليردوا على المهاجمين، وبعد تكرار المحاولات ينجحون بالفعل فى احتلال إحدى العمارات لإحداث توازن تكتيكي نسبى يحسن الوضع كثيرا، فقد امتلك الثوار الهواء ليهجموا على المهاجمين بنفس سلاحهم، ويخف الضغط على الثوار المرابطين خلف متاريس عبد المنعم رياض.

تبث قناة الجزيرة الأحداث، تحدث المعجزة لتعود الحاضنة الشعبية كما كانت، يقوم البلطجية بإلقاء مولوتوف الكحول من كل مكان، تحترق بعض الاشجار الملاصقة للمتحف الذى تحول الى ثكنة مستديمة للجيش ليقوم بدوره بإخماد الحرائق، وضرب الرصاص فى الهواء بين الحين والآخر فى حياد ماكر شرير، يتدفق المؤيدون من كل اتجاه.

ويقع المهاجمون في الحصار بين المدافعين عن الميدان، والقادمين من خلف خطوط البلطجية، يستمر الكر والفر إلى صباح يوم الثالث من فبراير.

يتحول قلب الميدان إلى أكبر مستشفى ميدانى ليصل الجرحى لفوق 800 جريح، وتبدأ معركة جديدة من نوع جديد ولكنها من طرف واحد هذه المرة!

فبعد أن يتفرق البلطجية حوالي الواحدة بعد منتصف الليل تبدأ بنادق القناصة من فوق فندق رمسيس هيلتون وكوبرى عبد المنعم رياض. كانت الإصابات قاتلة في الرأس، نور أخضر من الليزر يشق سواد الليل، تعقبه صرخة مدوية لأحد الشهداء، يعقبه تفجر فى الرأس، كانت من النوع الخارق الحارق، كان الرصاص يحمل الموت على نحو عشوائي مفاجئ بطئ غادر خائن.

وعلى تمام السادسة صباحا من فجر يوم الثالث من فبراير يسقط أكثر من أحد عشر شهيدا.

الدم يهون من أجل حريتك يابلدي، بس أنتِ عالطول بتنسي.

الثالث من فبراير وميدان التحرير بعد نهار وليلة دامية، لا تجد أحدا فى الميدان إلا وقد أصيب، معظم الرؤوس عليها ضمادات مختلفة الأحجام والأشكال تنتشر المستشفيات الميدانية فى كل أرجاء الميدان، رائحة الأشجار المحترقة، دخان إطارات الكاوتش، رائحة البارود، زجاجات المولوتوف، رائحة حامض الكبريتيك المركز الذي كان يقذف به البلطجية، قطع الرخام، قطع أحجار البلاط، بقع الدماء المتناثرة، آثار واقعية جدا لمعركة تم بعثها من القرون الوسطى باقتدار تعجز عن تصديقه.
مانشيتات الجرائد الحكومية، اشتباكات فى ميدان التحرير، الرئيس مبارك يتابع أخبار العنف المتبادل فى الميدان، رئيس الوزراء أحمد شفيق يصف ما حدث فى الميدان أمس بالمهزلة، عمر سليمان يصف ما حدث يوم 25 يناير بأنها مطالبات وطنية صادقة من شباب نبيل تم اختراقه فيما بعد بأصحاب أجندات خاصة ويدعو كل الأطراف الوطنية للحوار من أجل الخروج من الأزمة، النائب العام يأمر بمنع أحمد عز، وجرانه من السفر ويجمد حساباتهم البنكية، وضع حبيب العادلى تحت الإقامة الجبرية، عودة خدمة النت بعد انقطاع دام ستة أيام.
الجارديان، والنيوزويك، والواشنطن بوست تصف ما حدث على أنه حرب أهلية على ضفاف النيل، أوباما يصلي من أجل السلام فى مصر.
ببساطة كانت كل أنظار العالم على ميدان التحرير وما حدث أمس.
النظام أصبح فى موقف لا يُحسد عليه، أحدث غباء رجال النظام المعجزة وتم التفاف المصريين ثانية حول ميدانهم وثوارهم بعد ان خُدعوا لوقت بخطاب الرئيس العاطفى.
وفى حوالي الثالثة عصرا يتصدى الجيش لمئات البلطجية من ناحية ميدان عبد المنعم رياض بعد أن علم الجيش لمن يميل ميزان القوى!
غيّر الجيشُ موقفه من الحياد للاحتواء كانت مازالت بذور الاحتواء لا تُرى بالعين المجردة، يكتظ الميدان بالمصريين، بشارات النصر تتخلق وتتحقق أخيرا.
إنه الرابع من فبراير 2011 ومشهد مهيب للغاية، يحتشد مئات الألوف من المصريين فى جمعة الرحيل، يرتج الميدان بهتاف "ارحل" يتقدم السفير محمد رفاعة الطهطاوي المتحدث الرسمى لمشيخة الأزهر باستقالته وينضم إلى جموع الثوار ويعلن من إذاعة المنصه أنه لن يغادر الميدان إلا بعد سقوط النظام، يعطى ذلك إصرارا وحماسا شديدين للثوار، تتقدم لجنة الحكماء بمبادرة متميعة من أهم بنودها إحداث إصلاحات جذرية فى النظام الأمني والدستوري، وعدم ملاحقة الثوار، يُطرد ممثلها أبو المجد، (أحد ديناصورات السياسة من عهد عسكر 54)، من الميدان بمجرد تلاوته لمبادرته المتميعة، ويخرج علينا ديناصور التنظيم الطليعي ومنظمة شباب الاتحاد الاشتراكى السيد عمرو موسى من خلف شاشات التلفزة بأنه على استعداد ليخلف الرئيس مبارك، ويعلن النائب العام عن منع أحد وزراء نظيف من السفر أظنه كان الوزير محمد رشيد تمهيدا للتحقيق معه، يقدم النظام أبناءه قرابين لإرضاء الثوار.
وكلما تنازل النظام، تشدد الثوار. وكلما زاد الأمل، تشبثوا بمطلبهم إسقاط النظام وتحقيق العيش الكريم والحرية والعدالة الاجتماعية.
يمر اليوم بحماسة وموجة تفاؤل فى أن الرئيس سيتنازل عن الحكم خلال ساعات، حتى يخرج علينا الفريق شفيق يبشرنا أنه من المستبعد تنحي الرئيس، وأنه يصر على خدمة وطنة لآخر مدته الرئاسية.
ليقابل الثوار تصريحاته بالرفض القاطع وبرفع الأحذية عاليا.

يخرج أوباما بتصريحه الشهير أن على الرئيس مبارك التنحي الآن، تخلت أمريكا عن رجلها المخلص الذى لم يخدم غيرها طيلة ثلاثين عاما، يتضح أن تنحي رأس النظام أصبح مسألة وقت لا أكثر، وتزداد الهواجس أنهم يضحون برأس النظام لاستمرار عين ذات النظام.
يمر اليوم لينتظر ليل التحرير يوما آخر.
الخامس من فبراير 2011، وانتظار ممل،
الحشود تملأ التحرير، جمال مبارك يستقيل من لجنة السياسات، صفوت الشريف يستقيل من أمانة الحزب الوطني، تعيين حسام بدراوي أمينا عاما للحزب بدلا من صفوت الشريف موافي! وضع حبيب العادلى تحت الإقامة الجبرية النظام يضحي بفلذات كبده على مذبح ثورة التحرير، ليُبقى على وجوده، هل يخلع النظام رأسه لينبت له كالعنقاء مائة رأس ورأس؟!
يتحول الميدان إلى ما يشبه المتنزه تأتى الأمهات وأولادهن مع السندويتشات والحلوى والمشروبات لتمضية وقت ظريف، والرجوع إلى البيوت لم يعد الميدان بيتا للثوار فقط. لم يعد الميدان مكانا للموت المحتمل!
يعلن رئيس الوزراء عن رغبته فى إرسال بوبون لتسلية ثوار التحرير!
وفى العصر تتحرك الدبابات من ميدان عبد المنعم رياض نحو ميدان التحرير فيلقى الثوار بأنفسهم أمامها لتتوقف مكانها، لا يعلم أحد سبب حركتها إلا أن الجيش علم شيئا ما استوعبه جيدا أن الأمور لن ترجع ابدا إلى ما كانت عليه!
لم اكن قد خلعت ملابسى أو اغتسلت أو رجعت إلى البيت من يوم 25 حتى الآن لسبب كنت قد ذكرته سابقا، أرجع مع أحد الزملاء فى سيارته وبمجرد الخروج من الميدان وجدت أن الميدان عالمٌ مختلفٌ تماما عن خارجه.
خارج الميدان لم يكن قد علم عن داخل الميدان شيئا، بدأ التشاؤم يغزو قلبى الشاك ثانية، وددت لو رجعت إلى الميدان، ولكنى كنت قد تحولت إلى ما يشبه مجاذيب الموالد، كان لابد من الوصول إلى المنزل للإصلاح من مظهرى وملبسى والعودة سريعا إلى الميدان.

الأحد 6 فبراير 2011 استيقظ مبكرا من فراش هجرته من يوم 25 يناير، أطير بأجنحة الشوق إلى الميدان، وفى طريقي ألاحظ فى الصباح ما لم أره مساء أمس، الحياة خارج الميدان طبيعية جدا عربات الفول، باعة الجرائد،الباعة المتجولون، الميكروباصات.
نمط الحياة عادي جدا، كأن الثورة كانت فى الميدان فقط، عدا النقاشات فى وسائل المواصلات والمترو بين مؤيد لما يحدث ومعارض، تتساوى التفاصيل الحياتية قبل الثورة وبعدها.
أدخل الميدان فإذا الجدل يطفو على كل حدث كان زلزال على وشك الحدوث بين الثوار، فقد جلس الإخوان ومعارضة مبارك الكلاسكية تجمع، ووفد، وناصرى وبعض ما أطلق عليه بعد ذلك (شباب الثورة) مع نائب الرئيس عمر سليمان، رفض معظم ثوار الميدان هذا السلوك الغريب البعيد كل البعد عما كنا نأمل، فكان أول انحراف عن طهر ثورى عاهد الثوار بعضهم عليه من أول يوم، كان الحدث ميكروبا سيأخذ فى التوحش فيما بعد ويعصف بكل شئ. البرجماتية لعنها الله، ميكروب البرجماتية عدو أي ثورة، يشتد الجدل بين الثوار وبين الإخوان ويتحول إلى تلاسن شديد، وكاد أن يتحول في بعض الأحيان إلى تشابك بالأيدي، يبدو أن اللقاء كان مدبرا بين عجوز المخابرات والإخوان وغيرهم لإحداث

انشقاق سيعصف بالميدان وثورته الوليدة، الموقف الآن شديد الخطورة والميدان على وشك الانفجار من الداخل، وقادة الإخوان فى ورطة.
فعلى مايبدو أنهم وُعِدوا أن يكون اللقاء سرا فلما أفشت المخابرات عن تعمد ماكر سرهم كانت ورطتهم، وإذا بمحمد البلتاجي يعلن رفضه الحوار و شجبه سلوك من فاوض، يهدأ الميدان وينصاع شباب الإخوان والثوار للهدوء فكان تصريح القيادى الاخوانى البارز بردا وسلاما فقد نزع فتيل القنبلة التى كادت أن تودى بكل شئ.
تقام صلاة الظهر ويعقبها صلاة الغائب على الشهداء، ثم يقام قداس الأحد، فى الميدان قداس تجتمع فيه آيات القرآن، وترانيم الإنجيل لأول مرة، يهيم الميدان فى روحانية حالمة وهدوء يرمق شيئا ما يتحقق.
الاثنين 7 فبراير 2011 يستيقظ الثوار على قرار الجيش فتح مجمع التحرير كوسيلة لإعادة الحياة إلى طبيعتها إلا أن الثوار يرفضون ذلك ويحيطون المجمع من كل جهه ويتراجع الجيش عن قراره أمام إصرار الثوار ووحدتهم.
وفى عفوية ثورية يتمدد الاعتصام لخارج الميدان، وتتعدد بؤره أمام مجلس الوزراء، مجلس الشعب، ماسبيرو،وتلوح فكرة تمدد الاعتصام أمام القصر الجمهورى (الاتحادية) كسقف عالٍ للطموح.
أعداد المعتصمين فى تزايد، وكثير من جرذان سفينة الحكم يتقاذفون خارجها، الإعلان عن الغد الثلاثاء مليونية فى إطار أسبوع الصمود.
مبارك يجتمع مع شفيق وسليمان وسرور والشريف وطنطاوى للتشاور، والخروج بحل. والثوار يصرون على أن لا سبيل إلا بتنحي مبارك كخطوة نحو إسقاط النظام.
الثلاثاء 8 فبراير 2011 المليونية الثالثة منذ انطلاق الثورة، وينطلق الثوار من التحرير ليحاصروا المصالح الحكومية القريبة، وتتجاوب بعض المحافظات مع الميدان ليقوموا بحصار المؤسسات الحكومية فى محافظاتهم، وتعطيل العمل بها كالسويس وبورسعيد حيث اشتبك الأمن فى بورسعيد مع متظاهرين قاموا بحصار مبنى المحافظة مما أسفر عن حرق المبنى بالكامل.
يتم حصار مجلس الوزراء ومجلسى الشعب والشورى، وتعطيل العمل بها لحين تنحي الرئيس مبارك، وضم تلك المناطق لاعتصام التحرير، ونصب الخيام حولها.
انتشرت روح العصيان المدني فى كثير من مناطق الجمهورية، وتوقف العمل فى كثير من المصانع، وفى عصر اليوم تسري شائعات قوية بتنحي الرئيس، وأن الإعلان عن ذلك ما هو إلا مسألة وقت.
وفى آخر اليوم يجتمع الرئيس مع أركان نظامه ويكلف لجنة لتقصي الحقائق فيما حدث يوم موقعة الجمل.
وينقضي اليوم ويزداد الثوار قوة وعنادا، ويزداد النظام ضعفا وخورا.
الأربعاء 9 فبراير 2011 تسود موجه عارمة من العصيان المدنى معظم محافظات مصر والعاصمة، تتوقف معظم شركات النفط عن العمل احتجاجا على بارون النفط المصرى الوزير الملياردير سامح فهمي، والمقرب من دوائر النظام الحاكم، يقطع عمال وموظفى الهلال الأحمر وغيرهم من المصالح الحكومية شارع رمسيس، يحاصر الصحفيون نقيب الصحفيين مكرم محمد احمد المقرب من الرئيس ويطردونه شر طرده من النقابة.
يطرد الصحفيون رئيس مجلس إدارة الأهرام ويقومون بطبع ملحق للجريده بعنوان شباب التحرير مؤيدة للثورة على عكس الجريدة الأم.

يعقد المجلس العسكرى برئاسة المشير طنطاوى بصفة مستديمة للبحث عن سبل للخروج من الأزمة.
ودلالة رئاسة المشير وليس الرئيس لها الكثير والكثير من الإشارات، يشاع أن المجلس العسكري سوف يصدر بيانه الأول قريبا جدا.
الميدان يحبس أنفاسه انتظارا للبيان، وتكثر التكهنات، والنقاشات.
تطير الأحلام بعيدا تراها العين قاب قوسين، ولكن هذا الذئب المتربص كان يستعد للوثوب فيختلط الأمل بالقلق والحلم بالكابوس.
الخميس 10 فبراير 2011 تعلن المنصة عن وفاة الفريق سعد الدين الشاذلى، وسوف تصلى صلاة الغائب عليه غدا بعد صلاة الجمعة التى تم الإعلان عن اسمها باسم جمعة التحدي.
تكثر التكهنات بأنه سيتم الإعلان عن تنحي مبارك مساء اليوم بعد تصريحات بدراوى وشفيق عن احتمالية استجابة الرئيس لمطالب الثوار.
الإعلان عن أن الرئيس سيلقي خطابا مساء اليوم تكثر الحشود فى الميدان ومراكزالاعتصام القريبة منه انتظارا لخطاب الرئيس والاحتفال بإعلان تنحيه.
تمر الساعات فى الانتظار الممل، وكالعادة يخرج علينا فى وقت متأخر نسبيا ويستهل بمقدمة عاطفية تبدأ بأنه (سيظل) وفيا لتراب هذا الوطن، مما سبب موجة مبدئية من الإحباط لدى الثوار، ثم وجه الخطاب ولأول مرة لشباب ميدان التحرير، ولكافة الميادين، وأقر بنبل مطالبهم، وأنه لن يفرط فى محاسبة من تسبب فى سفك دمائهم، وبعد كلام كثير يعلن عن بقائه فى الحكم لنهاية مدته ليصل بالوطن إلى بر الأمان.
يصل الإحباط، وخيبة الأمل لمداها الأخير لدى الثوار فيصرخ البعض غضبا، ويرفع البعض احذيته، ويصاب البعض بما يشبه النوبات العصبية، وتتحرك الحشود الغاضبه ناحية ماسبيرو، ويعلن البعض ذهابه نحو القصر الجمهوري، ويزداد إصرار الثوار، ويرتفع هتافهم يسقط يسقط حسنى مبارك، ارحل.
وتطل صورة عمر سليمان على شاشة التحرير العملاقه ليؤكد على حكمة قرار الرئيس فى البقاء، وضرورة عدم استجابة الشباب للاجندات الخارجية، وضرورة الرجوع لبيوتهم ليرد عليه الشباب (مش هنمشى هو يمشى).
استيقظ فجر 11 فبراير من خيمة نصبناها باستعجال من المشمع قدام مجلس الشعب، الجو برد وذكريات امبارح الكئيبة بتمر بسرعة قدام عيني، وكلمات مبارك عماله تخبط فى ودني، زى صداع مش راضي يحل عن راسى المولعة من القلق وقلة النوم والإجهاد الشديد، أحس برعشه خفيفة فى جسمي، الظاهر أنها بداية حمى، أروح بسرعة ناحية الميدان على أقرب مستشفى ميداني، تستقبلني دكتوره شابه وتعطينى دوا برد وسخونية وطمنتي إن الأعراض هتختفب، بعد جرعتين كمان على الأكثر، الميدان صاحي، وقلقان، ومستني، ومتحفز لجمعة الزحف.
عناوين الجرائد الحكومية تشيد بحكمة الرئيس ولكن المقالات فيها تردد، وعدم ثقة واضحين وكأن كتابها منتظرين حدث كشك أقرب لليقين.
تطلع شمس 11 فبراير زي عروسة بتتزف لعريسها مستعجلة حاطه طرحتها البيضا على رأسها دافيه، وبتضحك استسلم لحنيتها، واستنى على الصنية صلاة الجمعة، وأحداث اليوم، وياترى إيه اللي هيحصل؟!
حشود كتيرة بتهل على الميدان وأجواره، ولما تدخل الساعة على 12 لاتستطيع أن ترى إلا الحشود،

بعيد على مدد الشوف تتعدى الحشود ميدان التحرير، وتملا ميدان عبد المنعم رياض وتتجاوز الكوبرى لتحتل موقف الباصات، تتمدد الحشود ويكتظ بها شارع طلعت حرب لغاية الميدان، تكتظ شوارع الجامعة الأمريكية ومحمد محمود حتى مجلس الشعب، تحتل الحشود باحة جامعة الدول العربية، ويكتظ بها كوبري قصر النيل ملايين بشرية حقيقية ترد على خطاب الرئيس العنيد.

تصلى الجمعة وصلاة الغائب على روح الفريق البطل سعد الدين الشاذلى ضحية غرور السادات وبطش مبارك، تزف جنازته فى يوم أخذ بثأره من ظالمه وجلاده وسجانه، تُزف روح الفريق الشريف بالحب والتقدير والاحترام، ويطارد الرئيس باللعنات والسباب والفضائح، انتقام وعدالة التاريخ تصفع الافتراء والغرور بكل عنف، وتلقن السياسة أفصح وأقوى درس ممكن.

أتوجه مع الحشود الزاحفة نحو قصر الفرعون العنيد، وسط تحذيرات من مشايخ المراحيض وبكاء وسهوكة أبوغطرة بيضا، وأربع نسوان وتحذير من مذبحة يتم الإعداد لها أمام القصر.

لاتفُت التحذيرات، ولا الدموع الكاذبة من عضد وعزم الثوار، نستقل المترو، وننزل فى محطة حدايق القبة، يرافقنى فى تلك الرحلة زوج وزوجته يتبادلان حمل طفل صغير، وديع أعلم من حوار صغير أنهما يتوجهان نحو القصر، يرافقاننى، ولا تكف الزوجة الشابة عن لعن مبارك، وما حدث لها ولزوجها من ظلم جراء سحب شقة فى مساكن الشباب منهما لحساب أحد محاسيب الحكومة، وكيف أنها تعيش مع حماتها فى شقة ضيقة ضنينة، وكلما مررنا على كمين شرطة تقوم الزوجة بتوجيه الصرخات، والسباب نحو الضباط والعساكر الذين لا يردون بكلمة، وما أن ظهرت أسوار القصر حتى شرعت الزوجه الشابه فى الصراخ لتقول كل القصر ده للحقير ده؟ واحنا مش لاقيين أوده ننام فيها، تذوب الزوجه وزوجها في الحشود المحيطة بالقصر و يختفيان.

اقترب أكثر، وأكثر من البوابة الرئيسية للقصر الذى لم يقترب منه أى مواطن مصري بسيط طيلة ثلاثين عاما، يقيم الجيش أسوار شائكة على بعد 100 متر من البوابة تحت حراسة مئات الجنود والضباط، ولكن اللافت للنظر أن باريهاتهم ليست باريهات الحرس الجمهورى الزرقاء، هي قوات جيش عادية، وليست حرس جمهوري، يتحدث أحد اللواءات من مكبر صوت ليطمئن الثوار بعدم حدوث أى سوء لهم، ويقوم الجنود بقذف زجاجات المياه المعدنية، وعلب العصائر للثوار تعلو هتافات (الجيش والشعب ايد واحده) ليتحمس اللواء ويقول "متقلقوش كل حاجه انتو عايزنها هتحصل!!".

يُؤذن للعصر، وتُقام خيام للمبيت، والاعتصام وتعد مستشفى ميداني أمام نادي هليوبوليس المقابل للقصر، وسط هتافات الألاف من حناجر الثوار المحيطة بالقصر(ارحل).

يأخذ المساء فى الزحف بنسمة باردة منعشة، تتثاءب الشمس الباسمة تخطو بكسل سعيد نحو مخدعها المخملي الأبيض من سحب فتى أحلامها يناير الحاني.

تخرج ثلاث طائرات هليكوبتر من القصر ليخيم ضجيجها الشديد، ويعلو مؤقتا على صوت هتاف الثوار، لتغزو الجميع موجة من التفاؤل الحذر وهمسات تتكهن أن الطائرات الثلاث تحمل الرئيس، وأسرته نحو جهة غير معلومة، يزداد الحماس، ويعلو الهتاف، وتعود الرعشة والسخونة جسدى المنهك، أريد أن أنام قليلا أبحث عن مسجد قريب، لأخذ قسط من الراحة ولصلاة المغرب أجد بالفعل مسجدا كبيرا جدا أتوضأ وأدخل المسجد، يتصل بى صديقى العزيز المرحوم محمود سويلم تغمده الله بلطف فضله ليبشرني أن عمر سليمان قد أعلن لتوه تنحي، الفرعون العجوز، أكبرُ بصوت عالٍ في المسجد، ينثاب الخبر كالحريق بين المصلين أصلي منفردا وأخرج مسرعا لأرى ما يحدث فى الخارج، فإذا

الاحتفالات، وتجمعات الشباب والفتيات، وأعلام مصر، وسيارات، وألعاب نارية تغزو شوارع مصر الجديدة، أسير مع المحتفلين المبتهجين، وأصر على المسير مع الحشود لأصل الميدان بعد حوالي أربع ساعات من السير المتواصل متناسيا المرض والتعب والإرهاق.
وبعد 4 ساعات مشي متواصل وسط أفراح الشعب من مصر الجديدة حيث قصر فرعون مصر المتنحي، إلى ميدان التحرير مقر الثورة المنتشية، ومن ناحية ميدان عبدالمنعم رياض، أدخل الميدان، الكل فرحان، ومنتشي، وسكران بخمرة النصر الأول، والمطلب الأول والأسهل من مطالب الثورة، تنحى الفرعون.
لفت انتباهي وأثار ازعاجى إن مفيش نقاط تفتيش، الناس سابت مداخل الميدان بدون أى لجنة من لجان التفتيش والأمن.
أوصل نص الميدان عند الصنية أغانى، ألعاب نارية، هستيريا فرح حقيقى (غير مبرر من وجة نظري).

أشكال غريبة من الناس أول مرة أشوفها في الميدان، أصبحت المقولة الشائعة بين تلك الأشكال الغريبة (أنا كنت فى الميدان طول مدة الثمانية عشر يوما)، مع ان رقم 18 يوم ده مخادع أوي، وغير دقيق أحداث الثورة كانت من 25 يناير، وأما 26 ،27 كان الثوار تم طردهم من الميدان، ولم يدخل الثوار الميدان سوى نهاية يوم جمعة الغضب 28 يناير، يعني لغاية 11 فبراير 16 يوم فقط، والغريب أن رقم ال 18 يوم هو إللى ساد فى كل وسائل الميديا حتى يومنا هذا، ما علينا المهم سادت نغمة عالية من الادعاء، والمزايدة بين أشكال غريبه فعلا على الميدان .
صرخات من بنات وسيدات تشكو من التحرش، شكاوى متكررة من النشل، لم يحدث ذلك مطلقا قبل ذلك فى تلك المدينة الفاضلة!!
حوالي الساعة العاشرة مساء تدعو المنصة لعودة لجان التأمين، والتفتيش لأماكنها، ولكن بعد أن امتلأ الميدان تماما بتلك الأشباح المدعية المتحرشة اللصة.
يهتف بعض تلك الأشكال بشعار (قاعدين ليه ما تقوموا تروحوا) (الشعب يريد إخلاء الميدان) يصرخ الثوار فيهم لسه مطالب الثورة لم تتحقق، ولكن لا حياة لمن تنادي، مشادات وملاسنات تصل لحد الاشتباك، وقد دفعني أحدهم بقوة وقال لى (أنت كنت فين طول (ال18 يوم)؟!!
يا الله بعد ده كله يدفعني أحد أولئك الأوغاد؟ ولكن يبدو أن لكل مشارك حقيقى دفعته، يعلن الثوار بكل تشكيلاتهم، وانتماءاتهم بقائهم فى الميدان لحين تحقق مطالب الثورة أشعر بتفاؤل حذر أقرب ما يكون لتشاؤم ، لأن الإخوان يعلنون من على المنصة وعلى لسان البلتاجي (أننا باقون لأن إخوانا لنا مازالوا فى السجون وذكر على سبيل المثال الشاطر ومالك) قلت مكلما نفسى (طيب لو طلع إخوانهم من السجن هيبقى موقفهم إيه؟ يا ليلة سوده يعني بمفهوم المخالفة لو طلع إخوانهم هيسيبوا الميدان!). جريت نحو أحد قياداتهم، استفسر منه، وأبث له أفكاري، ولكنى لا أجده أقابل مجموعة من أعضاء المكتب الإداري البارزين في المحافظة، والذين لم أقابلهم من قبل فى الميدان، وأعضاء من مكتب الإرشاد اعرفهم من صورهم في الجرائد، محاطين بكردون من الحرس المدني، أسأل يا جدعان فيه إيه؟ محدش يرد ثم يتجه الجميع لأحد الخيم على صينية الميدان، الخيمة محاطة بكردون يمنع دخول أي أحد، أحاول التحدث لأحد أعضاء المكتب الإدارى فيبتسم لى ابتسامه باردة ويقول (أهدى يا أخ محمد ده اجتماع مغلق سيحدد

تاريخ مصر!) طبعا يسبنى الأخ، ويلتحق بالاجتماع المغلق.
أضرب أخماس فى أسداس، وأذهب إلى نقطة التفتيش مدخل كوبرى قصر النيل أمام جامعة الدول العربية، ويدور الحوار بين الإخوان والرفاق ماذا يحدث لو صدرت أوامر تنظيمية للإخوان بالانسحاب البعض يستبعد، والبعض يصر على عدم ترك الميدان، والبعض يعلق حكمة على ما سيحدث، ويرفض الخوض فى أمر لم يحدث، والبعض ولعله الأكثر يتحدث عن مفهوم السمع والطاعة فى المنشط والمكره يسخر الرفاق، يغضب الإخوان، يسخر الإخوان من قلة عدد الرفاق، يرد الرفاق بأنهم من بدأ وغيرهم قد لحق، أشعر بالخنقة الشديدة والرغبة الملحة فى البكاء والصراخ بأعلى صوت وأسأل بصوت عالٍ (ايه إللى بيحصل؟) أطلب سيجارة من أحد الرفاق، وأشعلها بعصبية شديدة وأسحب أنفاسها بكل ما أوتيت من قوة، يسأل الرفيق إيه يا اخ محمد هترجع تانى للتدخين؟! أنفث دخان السيجارة فى وجهه وأقول (انت شايف ايه؟!) يقول بسخرية (شايف مصيبه مستعجله).
يصدر القرار فجر اليوم، وكان قنبلة حقيقية تهز أرجاء المكان (سينسحب الإخوان، وسيفرج عن القيادات الإخوانية فى غضون يومين)، وتُعلن قرارات الانسحاب تباعا الوفد ثم التجمع، ثم، ثم.
يرفض الثوار، ولكنهم كانوا بلاحول ولاقوة، يقوم الإخوان بخلع خيمهم، على مشارف العاشرة تخرج جحافل الإخوان.
تقل الأعداد فى الميدان، وعلى الثانية عشر ظهرا يقتحم هذا المشهد ذاكرتى ويحتلها ما حيت تنزل أعداد من كتائب الشرطة العسكرية، وتقوم بطرد من تبقى من الثوار، وحينما يرفضون يقومون بضربهم بأيشاتهم العسكرية الغليظة،
لم أعد أحتمل ما يحدث أترك الميدان، أركب المترو لأجد النقاشات بين الركاب منهم من يدافع عن الميدان، ومنهم من يقول أن ان ما حدث فى الميدان قلة أدب.

انتهى،

محمد فرحات.
موسكو..
.2013